جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية– الدراسات العليا

الأثر الأسلوبي لمظاهر التجويد في التعبير القرآني- السور المدنية مثالاً

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ تخصص الأدب

من الطالبة

فوزيه عبد الله أحمد

بإشراف

أ. د. سعد جمعه الدليمي

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

الفصل الأول

أحكام التجويد في التعبير القرآني

المبحث الأول

النون الساكنة والتنوين وأثرهما الأسلوبي في التعبير القرآني

المبحث الثاني

الميم الساكنة واللام الساكنة وأثرهما الأسلوبي في التعبير القرآني

المبحث الأول

النون الساكنة والتنوين وأثرهما الأسلوبي في التعبير القرآني

مدخل:

تُسهم أحكام النون الساكنة والتنوين في بيان دلالة النص القرآني الذي تردُ فيه، وإنْ كان الأمرُ لم يعلل بعلل منطقية لكن يبقى الذوق هو الحكم الذي يحكم وجوه إعجاز القرآن الكريم وبيان جمالياته.

أولًا: الأثر الأسلوبي الصوتي لأحكام النون الساكنة والتنوين:

- **مفهوم النون الساكنة والتنوين:**

١-**النون الساكنة:** هي النون الخالية من الحركة، والتي سكونها ثابت في الوصل والوقف، وتأتي في الأسماء، والأفعال، والحروف.

٢-**التنوين:** هي نون ساكنة زائدة لغير التوكيد، تلحق آخر الأسماء لفظًا ووصلًا، وتحذف وقفًا ورسمًا نحو: (واسعٌ عليم)[١].

وللنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام عند التقائها بأحد حروف الهجاء وهي: (الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء).

ومن أهم مظاهر التجويد:

١- **الإظهار**: هو إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنَّة في الحرف المظهر، فإذا وقعت النون الساكنة والتنوين قبل أحرف الحلق الستة وجب إظهارهما وبيانهما من غير غنة[٢]، وهي مجموعة في أوائل الشطر الآتي:

---

(١) حق التلاوة: د. حسني شيخ عثمان، ٢٤٥-٢٤٦، ويُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: د. محمد خالد منصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م: ١٢٣-١٢٤.

(٢) يُنظر: حق التلاوة: ٢٤٧.

أَخِي هَاكَ عِلْمًا حَازَهُ غَيْرُ خَاسِرٍ(١)

وهي (الهمزة، الهاء، العين، الحاء والغين، والخاء) وتكون هذهِ الأحرف متصلة مع النون الساكنة في كلمة أو تكون منفصلة في كلمتين.

فمن النماذج التي توضح الإظهار ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [النساء: ١٧]، فنلحظ تنوين الفتح في كلمة ﴿عَلِيمًا﴾ وبعده حرف من حروف الحلق وهو الحاء في ﴿حَكِيمًا﴾ فيكون النطق بها غنة التنوين كاملة، ثم بعد ذلك الانتقال بوضوح إلى الحاء من وسط الحلق، فسياق الآية تتحدث عن التوبة، وأنَّ الله يعلم بإخلاص من يتوب ولا يعاقب التائب(٢).

وعبارة ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ هي ذكر صفات الله فيوجب الإظهار هنا؛ ليمنحنا استقلالًا صوتيًا، وهذا الفصل بين التنوين وحروف الإظهار يُشير بكمال الصفات الإلهية بحيث تسمع كل صفة واضحة منفصلة عن الأخرى.

كذلك أنَّ السياقَ في الآية الكريمة يتحدث عن طبيعة التوبة وحقيقتها كما ذكر سيد قطب، فهذهِ التوبة التي أنشئت نشأةً أخرى قد هزها النّدم من الأعماق ورجها رجًا شديدًا حتى استفاقت وأنابت، فهذهِ توبة الندم والانخلاع من الخطيئة، والنسبة على العمل الصالح والتكفير، وبالتالي هي نشأة جديدة للنفس ويقظة جديدة للضمير، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فإنَّ الله تعالى يدبر الأمر عن علم وحكمة(٣).

وفي سورة التغابن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ

(١) يُنظر: نزهة المشتغلين في أحكام التنوين الساكنة والتنوين لابن القاطع (ت:٨٠١هـ)، دراسة وتحقيق: د.غانم قدوري الحمد، مجلة البحوث والدراسات القرآنية: العدد الثالث السنة الثانية: ٢٩٦.

(٢) يُنظر: روح المعاني للآلوسي: ٤٤٨/٢.

(٣) يُنظر" في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦٠٣/١.

﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن:١٤].

نلحظ الإظهار في ﴿مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ إظهارًا حلقيًا يخلق فاصلًا مسموعًا بين الكلمتين مسافة قصيرة في الانتقال من النون الذي مخرجها (الخيشوم) إلى الهمزة التي مخرجها (الحلق)، وكما ذكر ابن عاشور أنَّ((الإخبار عن بعض الأزواج والأولاد بأنَّهم عدو يجوز أنْ يحمل على الحقيقة فإنَّ بعضهم قد يضمر عداوة لزوجهِ وبعضهم لأبويه من جراء المعاملة بما لا يروق عندهم، مع خباثة في النفس وسوء تفكير فيصير عدوًا لمن حقه أن يكون له صديقٌ، ويكثر أن تأتي هذهِ العداوة من اختلاف الدين ومن الانتماء إلى الأعداء، ويجوز أن يكون على معنى التشبيه البليغ، أي: كالعدو في المعاملة))[١].

فإنَّ الله سبحانه وتعالى في سياق هذهِ الآية الكريمة يحذر المؤمنين فتنة الأزواج والأولاد، وقد كرر هذا التحذير في الآية التي تليها في الأولاد والأموال معًا، وهذا التحذير فيها أو الفتنة تحتمل معنيين كما ذُكر: إنَّ الله يفتنهم بالأموال والأولاد بمعنى يختبرهم فيجب الانتباه والحذر.

والثاني: إنَّ الأموال والأولاد فتنة توقع في المخالفة والمعصية فيجب الحذر كي لا يبتعدوا عن الله[٢].

٢- أمَّا الحكم الثاني من أحكام النون الساكنة والتنوين فهو **الإدغام**: والمقصود به **لغةً**: هو إدخال الشيء في الشيء مطلقًا.

والإدغام اصطلاحًا: إدخال حرف ساكن في حرف متحرك فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا يرتفع به اللسان ارتفاعة واحدة[٣]، وتدغم النون الساكنة والتنوين في ستة أحرف مجموعة في قولهم: (يرملون) وهو على قسمين: كما ذكر علماء التجويد، القسم الأول: إدغام بغير غنَّة، ويكون في (اللام والراء)، نحو قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى

(١) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٨/٢٨٤.

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/٣٥٨٩-٣٥٩٠.

(٣) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: محمد خالد منصور: ١٢٧.

﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة: ٥].

فالإدغام في ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ إدغامًا تامًا من دون غنَّة أي تقرأ (مرَّبِّهم)[١]، والتكرار الصوتي في حرف (الراء) وهو من الحروف ذات الرنين القوي الذي يؤثر في السامع عند التلاوة، والإدغام عامَّة هو للتخفيف فلم يقل سبحانه (من الله) بل قال ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ .

ومعنى ﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ فقد جاء في (التحرير والتنوير) إنَّما وصف الهدى بأنَّهُ من ربهم للتنويه بذلك الهدى وتشريفه مع الإشارة بأنَّهم بمحل العناية من الله[٢].

فالإضافة تخص هؤلاء المتقين المهتدين أي أنَّ الهداية لم تأتِ من بشر بل من ربهم، وهكذا نلحظ كيف أنَّ صوت (الراء) أثر صوتيًا في سياق الآية ولو قال (من الله) لما أعطت هذا الجمال نفسه، والإيقاع للآية الكريمة، فالإدغام الكامل هنا له الأثر الواضح في السياق.

وأمَّا القسم الثاني من الإدغام فهو الإدغام بغنَّة ويكون في بقية أحرف (يرملون) أي في حروف (ينمو) ويكون إدغامًا كاملًا بغنَّة مع حرفي (الميم، والنون)، وإدغامًا ناقصًا بغنَّة مع (الياء– الواو)[٣].

فنلحظ التنوين في لفظة (لؤلؤًا) في الآية ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ [الإنسان: ١٩].

فالإدغام في كلمتي ﴿لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ التنوين في نهاية كلمة ﴿لُؤۡلُؤٗا﴾ يُنطق نونًا ساكنة مع الميم في بداية كلمة ﴿مَّنثُورٗا﴾ وهو من أحرف الإدغام، فأدغم التنوين في الميم فشدد صوت الميم مع غنَّة واضحة.

وصوت الميم هنا سيصبح أطول في النطق وذلك بسبب الشدة والغنَّة معًا.

---

(١) يُنظر: الميسر في علم التجويد: أ.د غانم قدوري الحمد: ٩٧.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢٤٥/١.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وجاء في تفسير ابن كثير أنَّ أهل الجنَّة يطوف حولهم ولدان للخدمةِ وَوُصِفَ الولدان بأنَّهم مخلدون أي لا يتغير سنهم، وإذا رأيتهم تحسبهم في انتشارهم في قضاء الحوائج، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وجمال ألوانهم وثيابهم حسبتهم كاللؤلؤ المنثور، فلا يكون تشبيه أحسن من هذا(١).

وذكرهم سيد قطب: ((الذين يطوفون بهذهِ الأواني والأكواب بالشراب هم غلمان صباح الوجوه لا يفعل فيهم الزمن ولا تحركهم السن، فهم مخلدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة، وهم هنا وهناك كاللؤلؤ المنثور))(٢).

فالانسجام الصوتي الذي حصل بين الكلمتين (الإدغام) يعزز الجمال الصوتي للآية والإدغام مع الغنَّة يخلق إيقاعًا لطيفًا متناثرًا كحبات اللؤلؤ، وبالتالي يعطي جمالًا سمعيًا وبصريًا.

أمَّا الإدغام مع حرف الياء فقد جاء في لفظتي ﴿بَرْقٌ يَجْعَلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة:١٩].

فالتنوين في لفظة ﴿وَبَرْقٌ﴾ الذي يُقرأ نون ساكنة مع حرف (الياء) يسمى إدغامًا ناقصًا بغنَّة وسمي بالإدغام الناقص لذهاب الحرف وبقاء الصفة(٣).

فالغنَّة في هذهِ اللفظة تصنع صوتًا مستمرًا، كأنَّ السامع يشعر بارتجاف الصوت داخل النفس، وبَيَّنَ ابن كثير في تفسيره معنى البرق وقال: ((هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان))(٤)، وذكر سيد قطب بأنَّهُ مثال آخر

---

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٣٧٨٣/٦.

(٣) يُنظر: الملخص المفيد في علم التجويد: محمد أحمد معبد، دار السلام، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ١٩٠/١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٩٠/١.

يصور حالهم ويرسم ما في نفوسهم من اضطراب وحيرة وقلق، وأنَّهُ مشهد حافل بالحركة مشوب بالاضطراب فيه تيه ضلال.. صيب من السماء هاطل غزير ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ ... ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ ... ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ ...أي وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون، وهم فرعون: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾[1].

فالإدغام الصوتي بين الكلمتين ﴿بَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ﴾ يوحي بتداخل المشاهد وسرعة الأحداث: برقٌ، يجعلون أصابعهم، رعد، خوف، كل هذا يبرز التوتر والقلق في قلوبهم، فالغنَّة المدغمة التي أظهرت صوتًا خافتًا، تعكس الخوف والرهبة، وهذا بدورهِ ناسب المشهد القرآني عن الخوف من الصواعق.

٣- وأمَّا الحكم الثالث من أحكام النون الساكنة والتنوين فهو **الإقلاب**: وهو الحكم الثالث من أحكام النون الساكنة والتنوين والإقلاب لغةً: هو تحويل الشيء عن وجههِ[2].

واصطلاحًا: هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا عند الباء مع مراعاة الغنَّة والإخفاء، وحرف الإقلاب هو حرف واحد وهو (الباء).

وقد قال الناظم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في التحفة[3] :

وَالثَّالِثُ الإِقْلَابُ عِنْدَ الْبَاءِ ... مِيمًا بِغُنَّةٍ مَعَ الإِخْفَاءِ

والإقلاب يكون في كلمة وكلمتين فمثاله في كلمة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة:٣١].

---

(١) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ٤٦/١.

(٢) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ١٣٤.

(٣) الملخص المفيد في علم التجويد: ٢١.

فجاء حرف الباء بعد النون الساكنة في الكلمة نفسها ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ فتتحول النون إلى ميم خفيفة مع بقاء الغنَّة عند النطق بها بمقدار حركتين وكأنَّها تلفظ (أمبئوني)، فالإقلاب يضفي إيقاعًا لطيفًا وموسيقيًا في القراءة، وهو يحدث نعومة صوتية تهيء الأذن لاستقبال أمر مهم يتناسب مع المضمون وهو هنا الطلب الإلهي للملائكة ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾.

هذا مقام ذكر الله فيه شرّف آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم بعد سجودهم له[1]، وبيَّن ابن عاشور ((الإنباء الإخبار بالنبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة والأهمية بحيث يحرص السامعون على اكتسابه ولذلك تضمن الأنباء معنى الإعلام لأنَّ المخبر به يعد مما يعلم ويعتقد بوجه أخص من اعتقاد مطلق الخير فهو الخبر))[2].

جاءت اللفظة في سياق اختبار علم الملائكة فطلبَ الإنباء بأسماء الأشياء والإقلاب هنا يضفي رقة على الطلب وهيبة ، وخاصة أنَّهُ صادر من الله تعالى، وأنَّهُ يساعد في إبراز الكلمة وجعلها أكثر وقعًا في السياق أي يبرز طلب الإنباء بوقار وهيبة، ويضيف نغمة لطيفة، وإنَّ لفظة ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ جاءت في نهاية جملة طويلة فجاء الإقلاب يكسر الرتابة، ويدخل تنويعًا صوتيًا وهذا التنويع يخلق تشويقًا سمعيًا لدى السامع.

وأمَّا ما جاء الإقلاب في كلمتين فنلحظه في الآية ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرَا ١٣٤﴾ [النساء:١٣٤].

وقع الإقلاب في الآية ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرَا﴾ إذ يُقلب التنوين ميمًا مخفاة مع الباء بغنَّة مقدارها حركتين.

والإقلاب كما قلنا نغمة صوتية متناغمة عبر الغنَّة الخفيفة، مما يضيف موسيقى داخلية تخلق ترابطًا صوتيًا بين كلمتين.

---

(١) يُنظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٢/١.

(٢) التحرير والتنوير: ٤١٢/١.

وهذا بدوره يُسهم في جمالية الإيقاع، ويزيد من إيقاعية السمع عند التلاوة.

فمعنى الآية أنَّهُ لما كانت التقوى عظيمة على النفوس، جعل الله أنَّ خير الدنيا بيد الله، وخير الآخرة أيضًا، فإنْ اتقوه نالوا الخيرين(١).

وإذا ما رصدنا الرابط بين (سميعًا) و(بصيرًا) فإنَّنا نجد الصيغتين كلتاهما تدل على إحاطة الله المطلقة سمعًا وبصرًا، فالإقلاب يُحدث حجمًا صوتيًا بين الصفتين ويربط بينهما.

٤- الحكم الرابع والأخير من أحكام النون الساكنة والتنوين هو **الإخفاء: والإخفاء لغة:** هو الستر(٢).

و**اصطلاحًا:** هو النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام عاريًا عن التشديد مع بقاء الغنَّة في الحرف الأول، فإذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرفٌ من حروف أوائل البيت التالي يجب إخفاء النون الساكنة أو التنوين مع بقاء الغنَّة فيهما(٣).

حروف الإخفاء في أوائل كلمات هذا البيت(٤) :

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمْ طَيِّباً زِدْ فِي تُقًى ضَعْ ظَالِمَا

وتأتي نماذج الإخفاء في كلمة وكلمتين، فمما ورد في كلمة واحدة في لفظة ﴿يَنصُرۡكُمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران:١٦٠].

نلحظ الإخفاء الذي وقع في لفظة ﴿يَنْصُرْكُمُ﴾ نونًا ساكنة مع حرف الصاد فعند نطق النون المخفاة قبل الصاد نسمع غنَّة أنفية تسبق الصوت المفخم، فهذهِ الغنَّة قبل الصاد توحي

(١) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢٢٣/٥.

(٢) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ١٣٦.

(٣) يُنظر: حق التلاوة: ٢٥٧.

(٤) الميسر في علم التجويد: ٩٨

بالتحضير لصوت مفخم قوي، وهذا يؤدي وقعًا في الأذن يواكب معناها، فالنصر هو الإعانة على الخلاص من غلبة العدو، والخذلان ضده، و((أمَّا الاستفهام في الآية ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ فهو استفهام إنكاري كما ذكر ابن عاشور في تفسيره أي فلا أحد ينصركم غيره))(١).

جاء في الظلال: ((في قضية النصر والخذلان بوصفهما نتيجتين للمعركة –أية معركة– يرد المسلمون إلى قدر الله ومشيئته، ويعلقهم بإرادة الله وقدرته: إن ينصرهم الله فلا غالب لهم، وإن يخذلهم فلا ناصر لهم من بعده، وهي الحقيقة الكلية المطلقة في هذا الوجود، حيث لا قوة إلا قوة الله ولا قدرة إلا قدرته، ولا مشيئة إلا مشيئته... إنَّهُ التوازن العجيب الذي لا يعرفه القلب البشري إلا في الإسلام))(٢).

فالإخفاء في هذا الموضع يوازن بين الغنَّة الليّنة والصاد القوية، ليُظهر أنَّ النصر من الله يأتي بقوة ولكن بتدرج ولطف، وهذا المعنى ينسجم مع سياق الآية، فالنصر لا يُنال إلا من عند الله فلا غالب إن نصر، ولا ناصر إن خذل.

و كما جاء الإخفاء في التنوين في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠].

نلحظ نهاية كلمة ﴿قَوۡلٗا﴾ بتنوين وبداية كلمة (سديدًا) بحرف السين الذي هو من أحرف الإخفاء الخمسة عشر فتنطق التنوين بغنَّة مخفية، فالغنَّة المصاحبة للإخفاء تجذب انتباه المستمع إلى الكلمة، وهنا ﴿قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ تدعو إلى الصدق في القول، فبعدما نهى الله سبحانه وتعالى عن إيذاء رسول الله (ﷺ) وجه إليهم بعد ذلك نداء بأنْ يتسموا بالتقوى وسداد القول، ومعنى السداد الصواب، والحق منه تسديد السهم نحو الرمية، والقول لن يكون بابًا

(١) التحرير والتنوير: ١٥٣/٤.

(٢) في ظلال القرآن: ٥٠٣/١-٥٠٤.

عظيمًا من أبواب الخير والشر، ويشمل القول السديد تعبيرًا عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء، فمن القول السديد تمجيد الله والثناء عليه مثل التسبيح، ومن القول السديد الأذان والإقامة، فالتقوى والقول السديد من وسائل الصلاح(١).

فالإخفاء يعطي موسيقى وتناسقًا في السمع، لاسيما وأنَّ السياق موجه للمؤمنين، أي خطاب إيماني، فيجعل التلاوة ذات تأثير أكثر في النفس، فالإخفاء هنا يعزز جمالية الإيقاع ويبرز المعنى التربوي للكلام السديد في سياق التوجيه الإيماني.

ثانيًا: النون الساكنة في سياق التركيب:

- من أحكام النون الساكنة والتنوين:

أولًا: الإظهار:

وحروف الإظهار الحلقية ستة هي (ء،ع،ح،غ،خ)، سنبدأ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢].

ورد حكم الإظهار في لفظ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ و ﴿مَنْ﴾ هنا اسم موصول و ﴿ءَامَنَ﴾ صلة الموصول، ويمكن أن تكون شرطية أيضًا في محل رفع مبتدأ(٢).

فمعنى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ هو الإيمان بالله وبالرسالة النبوية الشريفة، إيمانًا كاملًا وإنَّ عدم الإيمان برسالة محمد (ﷺ) بمنزلة عدم الإيمان بالله(٣).

(١) يُنظر: التحرير والتنوير: ١١/١٢٢-١٢٣.

(٢) يُنظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الشؤون الجامعية، حمص، سوريا: ١/١١٥.

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير: ١/٣٩٥.

وذكر الآلوسي ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي إنْ أحدثَ من هذهِ الطوائف إيمانًا بالله تعالى، وصفاته، وأفعاله، والنبوات، وخصص ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي بالدخول في ملَّة الإسلام؛ لأنَّ عموم اللفظ في ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ بالكفرة منهم(١).

إنَّ موقع جملة ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ...﴾ منهم من ذكر أيضًا موصولة، ومنهم من قال شرطية، فإذا كانت موصولة تكون في محل بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ، والتقدير يكون (إنَّ الذين آمنوا... والصابئين هم الذين آمنوا بالله...)، وأمَّا إنْ كانت (من) شرطية(فمن) اسم الشرط (وآمن) فعل ماضٍ في جملة الشرط (فله أجره) جواب الشرط، ونحن نؤيد من قال (من) موصولة؛ لأنَّ معنى الآية يتحدث عن الذين آمنوا حقًا وليس الذين سوف يؤمنون لاحقًا وتكون جملة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وهكذا يتبين أنَّ الموقع الإعرابي لجملة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مناسبة حكم الإظهار في سياق الآية، فالإظهار ناسب معنى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي الإيمان يكون علنًا ظاهرًا.

ثانيًا: من أحكام النون الساكنة والتنوين هو الإدغام، والإدغام كما ذكرنا هو إدخال الشيء بالشيء، وحروفه ستة(ي، ر، م، ل، و ،ن) وسنبين أنموذجًا يوضح كيف أنَّ الإدغام ي اللفظة يؤثر أسلوبيًا في سياق الآية فمما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣].

فقد ورد الإدغام في لفظ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ و﴿وَلِيًّا وَلَا﴾ حيث التقت النون الساكنة مع الياء الذي من حروف (يرملون)، والياء من حروف (ينمو) الذي يسمى إدغامًا ناقصًا بغنَّة، فالجملة ﴿مَن يَعْمَلْ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب و ﴿مَن﴾ اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، و﴿يَعْمَلْ﴾ فعل الشرط، و ﴿سُوٓءًا﴾ مفعول به، و ﴿يُجْزَ﴾ جواب

(١) يُنظر: روح المعاني: ١/٢٨٠.

الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة(١).

وكذا الإدغام في ﴿سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ إذا التقت التنوين مع الياء.

فالإدغام هنا يجعل السامع يركز على الفعل (يعمل) مباشرة بعد حرف الشرط (من)، فبالتالي يبرز العلاقة المباشرة بين العمل والجزاء.

ذكر سيد قطب أنَّ ((في النص تلك التسوية بين شقي النفس الواحدة، في موقفهما من العمل والجزاء، كما أنَّ فيه شرط الإيمان لقبول العمل، وهو العمل بالله ... فقد شقَّ على المسلمين قول الله لهم: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ فقد كانوا يعرفون طبيعة النفس البشرية، ويعرفون أنَّها لا بدَّ أن تعمل سوءًا، مهما صلحت ومهما عملت من حسنات))(٢).

فالأسلوب القرآني وظف الإدغام ليعبر عن المعنى بحروف قليلة مع المحافظة على موسيقاه، فتنطق (مَنْيَعمل) بإدغام النون في الياء مع بقاء الغنَّة.

كذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة:٢١٨].

نلحظ ورود الإدغام في ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ولأنَّ الإدغام مع الراء يسمى بالإدغام الكامل بغير غنَّة، فهومناسب للمعنى المراد، فهذا الإدغام الكامل ناسب الصفتين فإنَّ الله تعالى غفور رحيم بعبادهِ، وهما صفتان تنسبان إلى الله سبحانه، (والله) الواو استئنافية، والله مبتدأ، ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ خبر أنَّ لله(٣).

(١) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٢٨/٢.

(٢) في ظلال القرآن: ٧٦٢/٢-٧٦٣.

(٣) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٢٣/١.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تأكيد لما تقدَّم، فتقدم وصف المغفرة؛ لأنَّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح(١).

جاء في الظلال أنَّ ((رجاء المؤمن في رحمة الله لايخيبه الله أبدًا.. ولقد سمع أولئك النفر المخلص من المؤمنين المهاجرين هذا الوعد الحق فجاهدوا وصبروا، حتى حقق الله لهم وعده بالنصر أو الشهادة وكلاهما خير وكلاهما رحمة، وفازوا بمغفرة الله ورحمته: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾))(٢).

فصيغتا الغفور والرحيم كلاهما صيغة مبالغة فالغفور على وزن فعول من غفر التي تدل على الكثرة، أي كثرة المغفرة، والرحيم على وزن فعيل فكلا الصفتين تدلان على المغفرة والرحمة الثابتتين لله (سبحانه وتعالى)، والإدغام يعطي سلاسة في النطق وليونة في الصوت وهذا مناسب لجو المغفرة والرحمة، ويسهم في الانسجام اللفظي ويقوي الارتباط المعنوي بين صفتي الرحمة والمغفرة، فيعزز أثر الطمأنينة في السياق.

ثالثًا: الإقلاب: وهو قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا إذا جاء بعدها حرف الباء فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ [المائدة: ٧].

إذ ورد الإقلاب في ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾ يقلب التنوين في (عليم) مع الباء في (بذات) ميمًا مع مراعاة الغنَّة فيها، فجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ جملة تعليلية وذات الصدور ذات الأمور المكنونة في الصدور(٣).

(١) يُنظر: روح المعاني: ٥٠٦/١.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٢٨/١.

(٣) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٢٤/٢.

ذكر سيد قطب في الظلال أنَّ التعبير ((﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ تعبير مصور معبر موح نمر بهِ كثيرًا في القرآن الكريم فيحسن أنْ ننبه إلى ما فيه من دقةٍ، وجمالٍ، وإيحاءٍ، وذات الصدور: أي صاحبة الصدور الملازمة لها اللاصقة بها، وهي كناية عن المشاعر الخافية والخواطر الكامنة، والأسرار الدفينة التي لها صفة الملازمة للصدور والمصاحبة وهي على خفائها وكتمانها مكشوفة لعلم الله المطلع على ذات الصدور))[1].

فالإقلاب يعطي جمالًا صوتيًا متناغمًا بين اللفظ (عليم وبذات)، فالغنَّة في ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ﴾ تضفي صوتًا خاشعًا مناسبًا للمقام، أي عن علم الله بما تخفيه الصدور، والإقلاب للتخفيف يسهم في سلامة النطق كما قلنا، فالإقلاب هنا هو إقلاب صوت النون إلى ميم وهو مناسب لما تحدثهُ الآية به عن علم الله الخفي، والإخفاء يتناسب مع فكرة إخفاء الميم والستر في المعنى بما تخفيه الصدور، و(عليم) من الناحية الصرفية على وزن فعيل من الفعل(علم) فهو صيغة مبالغة يدل على الكثرة أي كثرة علم الله تعالى.

رابعًا: الإخفاء الذي حروفه خمسة عشر حرفًا فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣].

فقد ورد الإخفاء في لفظ ﴿فَٱنكِحُواْ ﴾ حيث التقت النون الساكنة مع حرف الكاف فعند النطق تُخفى النون مع بقاء الغنَّة، والنون هنا ليست زائدة فهي من أصل الكلمة، من الفعل(نكح)، وهي تربط بين جملة اليتامى وجملة النكاح.

فالفاء في ﴿فَٱنكِحُواْ ﴾ رابطة للجواب وأنكحوا فعل أمر، والواو فاعل، والجملة في محل جزم فعل الشرط[2].

(١) في ظلال القرآن: ٢/٨٥١-٨٥٢.

(٢) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢/١٥٣.

ومعنى ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ أي على معنى الاختيار فيذكر الله تعالى أنَّ لكم الاختيار أيها المسلمون في تعدد الزوجات من مَثْنى، وثُلاث، ورُباع، ولكن في الآية ليست هي المثبتة لمشروعية النكاح؛ لأنَّ الأمر فيها معلق على حالة الخوف من الجور في اليتامى، والظاهر أنَّ الأمر فيها للإرشاد؛ لأنَّ النكاح شرع للإباحة الأصلية لما كان عليه قبل الإسلام مع إبطال ما لا يرضاه الدين كالزيادة في الزوجات على الأربع، ونكاح المقت للمحرمات من الرضاعة(١).

وذكر الآلوسي في ((﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ حتى تقل شهواتكم وتحفظوا فروجكم فتستعينوا بذلك على التربية لما يحصل لكم من التزكية عن الفاحشة، وإنْ خفتم من العدالة فواحدة تكفيكم في تحصيل غرضكم))(٢).

فالفعل (انكحوا) وهو فعل أمر كما قلنا موجه لخطاب الجماعة ومعناه تزوجوا وهو من الفعل الثلاثي (نَكَحَ) على وزن (فَعَلَ)، فالإخفاء فيه هو إخفاء حقيقي للنون الساكنة إذ تخفى النون وتنطق بين الإظهار والإدغام مع مراعاة الغنَّة، وهذا يجعل النطق أكثر سلاسة فتسهل القراءة، والغنَّة فيها تعطي الكلمة جمالًا صوتيًا يضفي نوعًا من الهيبة في الفعل ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ بوصفهِ حكمًا تشريعيًا، أي أنَّهُ يبرز الأمر التشريعي الذي أمرَ به الله، والإخفاء في هذا الفعل ﴿فَٱنكِحُواْ﴾ مناسب للمعنى، فالنكاح عادةً يحصل في الخفاء.

ثالثًا: المستوى البياني للنون الساكنة والتنوين

يُعدُّ المستوى البياني من أبرز مظاهر التمايز بين النصوص؛ إذ تتجلى فيه مهارات المبدع في تطويع اللغة؛ لتخدم أغراضًا جمالية وتعبيرية تتجاوز المعنى الظاهري إلى أبعاد فكرية ووجدانية، ومن هذا المنطق تأتي دراسة هذا المستوى للكشف عن جماليات الأسلوب وتحليل

(١) التحرير والتنوير: ٤/٢٢٤-٢٢٧.

(٢) يُنظر: روح المعاني: ٢/٤١٩-٤٢٠.

آلياته ودلالاته ضمن السياق النصي.

ويركز على دراسة الصور الفنية مثل التشبيه، والاستعارة، والكناية، فالدراسة الأسلوبية في المستوى البلاغي تُساعد في الوصول إلى أنَّ هناك ترابطًا بين مفردات النص، فتجعل القارئ يتعمق وراء السطور، وتجعل المستمع يتشوق أي تجذب انتباهه.

والفقرات التي يروم البحث دراستها في هذا المبحث تندرج على أحكام النون الساكنة، وأحكام الميم الساكنة.

- **أحكام النون الساكنة:**

أولًا: الإظهار:

ورد الإظهار في التعبير القرآني بكثرة ونلحظ في هذهِ الآية التي سنوردها هنا، جاء أسلوب التقديم والتأخير لما له من تأثير في المعنى الواقعي، فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة: ٧].

فقد وَرَدَ الإظهار في ﴿ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ التقت التنوين بحرف من حروف الإظهار ألا وهو الهمزة، فيتيح نطق التنوين والهمزة بشكل واضح، وهذا ما يسمى ترتيب أي تقديم بالترتيب هنا ناسب معنى الآية فقد قدَّم (ثلاثة) وجاء بعدها (بالأربعة والخمسة والستة) وهذا تقديم بترتيب حسب ترتيب الأرقام المتعارف عليها.

ورد عند ابن عاشور إنَّ جملة ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلى آخرها بدل البعض من الكل، وإنَّ معنى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ والاستثناءات بعدها أي أنَّهُ مطلع سبحانه وتعالى على ما يتناجون(١).

(١) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٢٨.

والإظهار هنا يبرز المعنى أي أنَّ الله مطلع على كل نجوى مهما كانت قليلة العدد.

وذكر سيد قطب في تفسير هذهِ الآية ((وهي حقيقة في ذاتها ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير، صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة، وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله الجليل المأنوس، وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم، وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك، إنَّها حالة لا يثبت لها قلب، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز... وهو محضر مأنوس نعم،... ولكنَّهُ كذلك جليل رهيب محضر الله ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾))[1].

ربما عبد القاهر الجرجاني أوَّل من ناقش أثر التقديم والتأخير في نظم الكلام، إذ أشار إلى أنَّ تقديم مما حقه التأخير له غرض معنوي ولا يكون عبثًا وقد ركز على العلاقة بين النظم والمعنى، وأنَّ المعنى لا يتم إلا من خلال ترتيب الكلمات بطريقة مخصوصة[2].

وقال: ((وجملة الأمر أنَّهُ لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصدٌ إلى صورة وصفه إنْ لم يقدم فيه ما قدَّم، ولم يؤخر ما أُخِّر...))[3].

ترتيب الكلام يخضع لقصدية المتكلم حضور النون الساكنة ثلاث مرات، يُعضد من هذهِ المقصدية ويدفع القارئ باتجاه تلمس أثرها في نفسه.

فالإظهار هو أوضح الأحكام صوتيًا ويعطي للتلاوة جمالًا وهيبةً، فإظهار لفظ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يبرز الوضوح وكأن السياق يقول: (مهما بلغ العدد فهو معهم)، فالوضوح في اللفظ يجاوره وضوح المعنى وهو تعظيم للرقابة الإلهية.

(١) في ظلال القرآن: ٣٥٨/٦.

(٢) يُنظر: دلائل الإعجاز، الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت:٤٧١-٤٧٤هـ)، قرأ وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر: ٣٥٩-٣٦٣.

(٣) دلائل الإعجاز: ٣٦٤.

وهناك مثل قرآني آخر يوضح الإظهار في النون الساكنة وكيف يؤثر به المعنى البلاغي (التشبيه) فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءٗ﴾ [البقرة: ١٧١].

قد ورد الإظهار في لفظ (ينعق) حيث التقت النون الساكنة مع العين الحرف الحلقي المظهر، والإظهار كما قلنا سابقًا له دلالة صوتية ووضوح باللفظ يصاحبه وضوح بالمعنى.

وهنا جاء الإظهار في المعنى البلاغي التشبيه أو التمثيل كما يسميه المفسرون، فقد وضح ابن عاشور معنى للآية وقال: ((والمثل هنا لما أُضيف إلى الذين كفروا كان ظاهرًا في تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبي (ﷺ) إياهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من ينعق بها في أنَّهم لا يفهمون إلا أنَّ النبي (ﷺ) يدعوهم إلى متابعته من غير تبصر في دلائل صدقه وصحة دينه، فكل من الحالة المشبهة والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء: داعٍ ومدعو ودعوة، وفهم وإعراض وتصميم، وكل من هذهِ الأشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهًا بجزء من أجزاء المشبه به، وهذا من أبدع التمثيل، وقد أوجزته الآية إيجازًا بديعًا))[1].

فالآية جاءت تمثل حال الكفار وحال دعوة النبي (ﷺ) لهم، وجاءت (ينعق) هنا تشبيه لمن يكلمه النبي من لا يعقل أو لا يستجيب، وهي هنا بمعنى الصراخ أو الصوت المرتفع، وكما تستعمل عادة لصوت الراعي عندما يصيح غنمه.

ذكر سيد قطب في هذهِ الآية أنَّ الله يرسم لهم صورة رؤية ((صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني؟ بل هم أضل من هذهِ البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح وهم صم بكم عمي، ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها

(١) التحرير والتنوير: ٢/١١١.

وكأنَّهم أذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون))[١].

فجاءت (ينعق) مظهرة بصيغة تشبيه لمن يكلم من لا يعقل أو لا يستجيب، كما أنَّ الراعي ينعق بالغنم لكنَّها لا تفهم ما يقول بل تسمع الصوت فقط، فالإظهار هنا يبرز أو يزيد من نبرة التوبيخ للكافرين وهذا ينعكس على اللذين لا يستجيبون للهدى.

ثانيًا: الإدغام:

يُحدِثُ الإدغام نوعًا من التوتر الأسلوبي يُسهم هذا التوتر في إنجاز دلالة التعبير من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢﴾ [البينة:٢].

ورد حكم الإدغام في قولهِ: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ لإبراز دلالتها، في الاستعارة التصريحية ((فقد شبه تنزه الصحف عن الباطل بطهارتها من النجاسة فصرَّحَ بالمشبه به (مطهرة) وحذف المشبه (المنزه عن الباطل)، إنَّ هذهِ الاستعارة توحي بدلالات النزاهة والحق والاستقامة))[٢].

وذكرت الدراسة السابقة أنَّ سورة البينة تميزت بأسلوب التصوير المعتمد على الواقعية التي لا يقل أهمية عن التصوير البلاغي، فهما يتكاملان لتشكيل المستوى الدلالي، وجاءت السورة قائمة على التصوير المليء بالحركة والصوت[٣].

جاء في الكشاف في تفسير ((﴿صُحُفًا﴾ أي القراطيس، و(مطهرةً) أي مطهرة من الباطل، مستقيمة ناطقة بالحق والعدل))[٤]، وأمَّا تفسيرها عند ابن كثير ((أنَّ محمد (ﷺ) وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملأ الأعلى في صحف مطهرة، ﴿فِيهَا كُتُبٞ

(١) في ظلال القرآن: ١/١٥٥-١٥٦.

(٢) دراسة أسلوبية في سورة البينة: حفيظة محمود علي خمايسة، أسماء العمري، فداء غنيم، جامعة عمان الأهلية، الأردن، جامعة الإسراء، الأردن: ٢٧٦.

(٣) دراسة أسلوبية في سورة البينة: ٢٧٦.

(٤) الكشاف: ٦/٤١١-٤١٢.

﴿قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:٣]، أي مستقيمة معتدلة))[١].

فالإدغام هنا يُعطي تشديدًا صوتيًا على كلمة ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ بسبب الغنَّة، وهذا التشديد يُبرز صفة الطهارة لهذهِ الصحف.

وضح ابن عاشور أنَّ هذهِ الآية استعملت بأسلوب مجاز مرسل مركب، فجملة ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا﴾ حال وهي إدماج بالثناء على القرآن، فهو هنا وصف يثني على القرآن والوحي موضحًا أنَّهُ كلامٌ محفوظٌ دون زيادة أو نقص، وبيَّنَ الصحف بأنَّها الأوراق والقراطيس التي تُجعل لأن يكتب فيها وتكون من رق أو جلد، وقد وصفت هذهِ الصحف بأنَّها (مطهرة)، وهذا الوصف مشتق من الطهارة المجازي، أي أنَّ معانيه لا لبس فيها ولا تشتمل على تضليل[٢].

وفي الظلال جاء تفسير الآية أنَّهُ عمَّ الفساد في أرجاء الأرض بعدما كانت بحاجةٍ ماسةٍ إلى رسالةٍ جديدةٍ، وحركةٍ جديدةٍ، والمشركون ما كانوا ينفكوا عن الكفر الذي صاروا عليه إلا بهذهِ الرسالة، فقد جاءتهم هذهِ الرسالة وجاء هذا الرسول في وقته، وجاءت الصحف وما فيها من كتب وحقائق وموضوعات لتحدث في الأرض كلها حدثًا لا تصلح الأرض إلا به[٣].

فالإدغام هنا في ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ أحدث جمالًا صوتيًا من حيث التقارب بين الحرفين وقد أظهر موسيقى داخلية من إدخال الغنة وفيه أعطى رقةً وطولًا زمنيًا أسهم في تأكيد هذهِ الصحف المطهرة، فالغنَّة كأنَّها تمديد لحالة الطهر والقداسة، من جمال البلاغة هنا ينسجم صوت الإدغام مع المعنى، فلفظ ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ تدل على النقاء والتنزيه، والغنَّة بدورها توصل هذا المعنى.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٨.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير: ٤٧١/٣٠-٤٧٧.

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن: ٣٩٤٨/٦.

ذلك الإيقاع القرآني الهادئ، وافق السياق من حيث أنَّ الآيات في السورة تتحدث عن وحي منزل وصحف مطهرة، وكلام الله، فجاء الإدغام ليحدث إيقاعًا هادئًا وخاشعًا يليق بجو الوحي والتنزيل.

كذلك نلحظ الإدغام الذي ورد في سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ورد الإدغام في ﴿سِنَةٌ وَلَا﴾ بوساطة التقاء التنوين مع الواو، والواو من أحرف الإدغام بغنَّة (ينمو)، فقد حصل تقديم السنة على النوم ما يسمى ذلك بالترتيب الزمني(١).

فالسنة هي ما تكون النعاس الذي يسبق النوم، من ذلك ما جاء عند ابن كثير في ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ((أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، ومن تمام القيومية أنَّهُ لا يعتريه سنة ولا نوم، فقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ أي لا تغلبه سنة، وهي الوسن والنعاس، ولهذا قال: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ ؛ لأنَّهُ أقوى من السنة))(٢).

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيه لله عن النقص؛ لأنَّهُ لا يغفل عن خلقه، والسنة: النعاس، والنوم: أعم، نفيهما يدل على كمال القيومية(٣)، أي أنَّ السنة وهي أول مراتب النعاس، والنوم، وهو المرحلة الأعمق من الغفلة، فالمعنى فيها أنَّهُ نفي الغفلة عن الله تعالى بكل درجاتها.

وقد بيَّنَ سيد قطب في تفسير ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ((وهذا توكيد لقيامهِ سبحانه على كل شيء، وقيام كل شيء به، ولكنَّهُ توكيد في صورة تعبيرية تقرب للإدراك البشري صورة القيام الدائم، في الوقت الذي تعبِّر فيه هذهِ الصورة عن الحقيقة الواقعة من مخالفة الله

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م: ٣٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦٧٨/١.

(٣) يُنظر: التحرير والتنوير: ١٩/٣.

سبحانه لكل شيء... وهي تتضمن نفي السنة الخفيفة أو النوم المستغرق، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة بعلم ما يعمل العاملون من خيرٍ وشر، ولا يخفى عليه خافية))(١).

أي أنَّ الله سبحانه وتعالى رقيب على كل شيء وفي كل نفس واعلم بها، فقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ أي أنَّ الله سبحانه لا يصيبه حتى النعاس، فهو رقيب على كل خير وشر، بل رقيب في كل نفس أيًا كانت هذهِ النفس.

وعلى هذا الأساس تُفيد ((الهمزة للاستفهام الإنكاري، وإدخال الفاء قيل: لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة ما علم مما فعل سبحانه بالمستهزئين من الإملاء والأخذ، ومن كون الأمر كله له سبحانه وكون هداية الناس جميعًا منوطةً بمشيئتهِ جل وعلا، وفي الكشف أنَّهُ ضمن هذا التعقيب الترقي في الإنكار يعني لا عجب من إنكارهم لآياتك الباهرة مع ظهورها إنَّما العجب كل العجب جعلهم القادر على إنزالها المجازي لهم على أعراضهم عن تدبر معانيها وأمثالها بقوارع تترى واحدة غب أخرى يشاهدونها رأي عين تترامى بهم إلى دار البوار وأهوالها كم لا يملك وتنزهه –سبحانه– عنهما إطلاقًا))(٢).

فالإدغام في ﴿سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ يعطي إحساسًا بالتنبه والتيقظ، وكأنَّ هذا الترتيب الذي حصل السنة قبل النوم كأن يقول: حتى أنَّ هذهِ السنة التي هي النعاس الخفيف لا يمكن أن تصيب الله سبحانه وتعالى، فالله يعلم أبدًا لا تعتريه غفلة ولا نوم ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(١) تفسير ابن كثير: ٤٦٣/٣.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٨٧/١.

ثالثًا: الإقلاب:

الإقلاب كما وضحناه سابقًا يكون عند التقاء النون الساكنة أو التنوين مع حرف الباء، فمن الأمثلة القرآنية التي توضح بيان حكم الإقلاب ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:٣٣].

ورد الإقلاب في ﴿نَفْسٍ بِمَا﴾ في سياق الاستفهام الإنكاري الذي هو من مباحث علم المعاني، فتنوين الكسر تُقلب ميمًا مخفاة مع الباء كأن تلفظ ﴿نَفْسٍ بِمَا﴾ مع غنَّة وكأن هذهِ الغنة أو هذا الإقلاب في الميم المخفاة يوحي بأنَّ ما يوجد في النفس مخفي لا يعلم به غير الله سبحانه وتعالى لنفسهِ ضرًا ولا نفعًا، فضلًا عمن اتخذه ربًا يرجو منه دفعًا أو جلبًا(١).

فالله سبحانه وتعالى وحده القائم على كل نفس بما كسبت، فهذا الإله العظيم لا يستوي مع ما يعبد الكفار، والاستفهام الإنكاري هنا استُعمِل للتأنيب والتعجب من حالهم كيف يجعلون لله شركاء وهو وحده القائم على كل نفس، فالاستفهام يجعل القارئ أو السامع ينتبه ويشارك ذهنيًا أي يدفع الذهن للتفكير، وكأنَّهُ يوحي بمبدأ التوحيد فأي قلب يقبل أن يشرك بالله مع هذا المقام الرباني العجيب.

وجاء في تفسير في (ظلال القرآن) في قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ((فلنتصور كل نفس أنَّ عليها حارسًا قائمًا عليها مشرفًا مراقبًا يحاسبها بما كسبت، ومن؟ إنَّهُ الله! فأيةُ نفس لا ترتعد لهذهِ الصورة وهي في ذاتها حق، إنَّما يجسمها التعبير للإدراك البشري الذي يتأثر بالحسيات أكثر مما يتأثر بالتجريديات))(٢).

(١) يُنظر: روح المعاني: ١٥١/٧.

(٢) في ظلال القرآن: ٢٠٦٢/٤.

فالإقلاب الذي ورد في ﴿نَفْسٍۭ بِمَا﴾ ناسب معنى الآية، فالنفس تتقلب بين خير وشر، ومع الاستفهام الإنكاري الذي غرضه نفي المساواة بين الله ومن يشركون به، فقد ناسب ذلك الإقلاب مع الاستفهام جو الآية وهذا يُعدُّ إعجازًا.

رابعًا: الإخفاء:

للإخفاء أثر مهم في الدلالة التي يحويها النص من جانب إظهار مواطن أخرى هو أن تخفي النون الساكنة أو التنوين مع حروف الإخفاء.

مع مراعاة الغنَّة، فقد جاء في المثال القرآني الذي يوضح حكم الإخفاء في ﴿إِن شَكَرْتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

ورد الإخفاء في ﴿إِن شَكَرْتُمْ﴾ إذ التقت النون الساكنة مع حرف الشين، وكذا في ﴿وَءَامَنتُمْۚ﴾ إذ التقت النون الساكنة مع حرف التاء مع بقاء الغنَّة عند اللفظ وكأنَّها تُلفظ (إنشّ كرتم) ﴿وَءَامَنتُمْۚ﴾ بغنَّة خفيفة سلسة تُضفي جمالًا في اللفظ.

فمعنى: ﴿إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ﴾ عند ابن كثير أي: ((أصلحتم العمل وءامنتم بالله ورسوله))[1].

فالآية تتحدث عن نفي الله تعذيب عباده إن شكروا وآمنوا، والإخفاء هنا بدوره يساعد على إيصال هذا المعنى.

((ومن هنا جاء شُكرُ الله سبحانه للعبد يلمس القلب لمسة رقيقة عميقة وإنَّهُ معلوم أنَّ الشكر من الله سبحانه معناه الرضى، ومعناه ما يلازم الرضى من الثواب ولكن التعبير بأنَّ الله –سبحانه– شاكر تعبير عميق الإيحاء! وإذا كان الخالق المنشئ، المنعم المتفضل، الغني

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٤٤٢.

عن العاملين يشكر لعبادهِ صلاحهم، وإيمانهم، وشكرهم، وامتنانهم وهو غني عنهم وعن إيمانهم وعن شكرهم وامتنانهم إلا أنَّها اللمسة الرفيقة العميقة التي ينتفض لها القلب ويخجل ويستجيب، إلَّا أنَّها الإشارة المنيرة إلى معالم الطريق، الطريق إلى الله الواهب المنعم، الشاكر العليم))[1].

فالإخفاء يُعطي خفة في النطق بحيث ينتقل القارئ من (إن)إلى شكرتم بسلاسة، وهذا يتناسب مع سياق الرحمة واللطف في الآية، فقد بدأ بالشكر قبل الإيمان مع أنَّ الإيمان الأصل، وذلك يدل بأنَّ الخطاب موجه للمؤمنين حقًا، فيكون المطلوب منهم أن يتموا الإيمان بالشكر، والإخفاء هنا يعزز هذا المعنى الرقيق؛ لأنَّهُ يجعل الانتقال إلى (شكرتم) ناعمًا.

وهناك مثال آخر في التعبير القرآني يوضح الإخفاء الحلقي وكيف يؤثر في التشبيه فقد قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ [النور: ٤٠].

جاء المظهر التجويدي للإخفاء في لفظ ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي﴾ إذ التقت التنوين مع حرف الفاء وهو أحد حروف الإخفاء، وقد وضَّحَ ابن عاشور ذلك التشبيه وجعل (أو) للتخيير وقال: ((إن كان الكلام جاريًا على التخيير في التشبيه مع اختلاف وجه الشبه كان المعنى تمثيل حال الذين كفروا في أعمالهم التي يعملونها وهم غير مؤمنين بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية فإذا هو في ظلمات لا يهتدي معها طريقًا –فوجه الشبه هو ما حف بأعمالهم من ظلال الكفر الحائل دون حصول مبتغاهم– وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة، والظلمات: الظلمة الشديدة))[2].

(١) في ظلال القرآن: ٢/٧٨٦.

(٢) التحرير والتنوير: ١٨/٢٥٤-٢٥٥.

يتبين من خلال ذلك أنَّ الإخفاء مرتبط بالمعنى وكأنَّهُ يُعطي الشعور بتلك الظلمة الشديدة، فالإخفاء يؤدي إلى نطق ناعم سلس متصل مع غنَّة أنفية، وهذهِ الغنة تعكس الظلمة واتصالها في البحر العميق، مما يعمق الصورة الذهنية للظلام الكثيف.

وإنَّ الآية معطوفة على الآية السابقة التي شبهت أعمال الكفار (سرابًا) فأتت هذهِ الآية لتُضفي تشبيهًا آخر وكأنَّهُ يريد أن يعمق المعنى، فالآلوسي أورد أن يكون التشبيه في هذهِ الآية متعلقًا بعالم الدنيا، أي الأعمال السيئة كالظلمات التي لا يمتد فيها نور الحق مقابل السراب في الآخرة، والترتيب في موضوعات الآيات هو يهدف أنَّهُ في الدنيا تشبه أعمالهم بالظلمة، أمَّا في الآخرة ففيها تشبه بالسراب بلا فائدة، فالآية تُصَور بأبهى مدى بُعد الكفر عن نور الله(١).

فالإخفاء يجعل النطق مختفيًا قليلًا وهذا ما ينسجم مع معنى الظلمات الكثيفة في أعماق البحر حيث يصعب الرؤية، فهو يعزز الإحساس بالغموض والعمق الذي تعبر عنه الكلمة، والإخفاء هنا يُسهم في إيصال المعنى بطريقة تجعل السامع يشعر بما تحمله الكلمة من وصف للظلمة الكثيفة.

فالتشبيه في القرآن أحد أسرار الإعجاز في القرآن، ويُعدُّ من أسباب الإعجاز ((فلا شكَّ أنَّهُ صور بيانية تتضح فيه الحقائق الظاهرة والمعاني النفسية؛ إذ كثير ما يركز القرآن على العناصر الأساسية في حياة الإنسان؛ ليشبه ما يريده بها، إذ القرآن يستثمر مسألة تعلق النفس ببعض الأساسيات، فنلحظ أنَّ المشبه به في الغالب يكون مما له تعلق أساسي بالنفس الإنسانية، ويصعب عليها التخلي عنه، حيث يستثمر القرآن هذا في بيان الحقائق))(٢).

(١) يُنظر: روح المعاني: ٩/٣٧٣-٣٧٤.

(٢) التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله محمد الجيوسي: ٣٨٤.

المبحث الثاني

الميم الساكنة واللام الساكنة وأثرهما الأسلوبي في التعبير القرآني

أولًا: الأثر الأسلوبي الصوتي للميم الساكنة واللام:

- **أحكام الميم الساكنة:**

الميم الساكنة: هي الميم الخالية من الحركة والتي سكونها ثابت في حال الوصل والوقف(١)، وتخرج من الشفتين أثناء انطباقهما ولها ثلاثة أحكام كما ذكر صاحب التحفة:

وَالمِيمُ إِنْ تَسْكُنْ تَجِي قَبْلَ الْهِجَا ... لَا أَلِفٍ لَيِّنَةٍ لِذِي الْحِجَا
أَحْكَامُهَا ثَلَاثَةٌ لِمَنْ ضَبَطْ ... إِخْفَاءُ ادْغَامٌ وَإِظْهَارٌ فَقَطْ
فَالأَوَّلُ الإِخْفَاءُ عِنْدَ الْبَاءِ ... وَسَمِّهِ الشَّفْوِيَّ لِلْقُرَّاءِ(٢)

فالحكم الأول ما يسمى بالإخفاء الشفوي، ويحدث هذا الإخفاء إذا وقع بعد الميم الساكنة حرف الباء جاز إخفاء الميم الساكنة مع مراعاة الغنَّة ولا يكون إلا في كلمتين وسمي شفويًا؛ لأنَّ مخرج الميم والباء كلاهما من الشفتين(٣).

فنلحظ أنَّ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

فحكم الإخفاء الشفوي وقع في ﴿بَيۡنَهُم بِمَآ﴾ حيث التقت الميم الساكنة مع حرف الباء فصار دمج صوتي جزئي بين الميم الساكنة والباء، ويراعى فيه الإخفاء والتقليل من ظهور الميم لكن مع الاحتفاظ بصوت الغنَّة، فهذا الإخفاء يضيف تنغيمًا لطيفًا يجعل القراءة أكثر

(١) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ١٤٣.
(٢) الملخص المفيد في علم التجويد: ٢٥.
(٣) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ١٤٥.

سلاسة وجمالًا سمعيًا، والغنَّة فيه تخلق نوعًا من التوازن الصوتي.

قال سيد قطب في تفسيرهِ للآية:: ((التحذير هنا أشد وأدق وهو تصوير للأمر على حقيقتهِ، فهي فتنة يجب أن تحذر، والأمر في هذا المجال لا يعدو أن يكون حكمًا بما أنزل الله كاملًا، أو أن يكون اتباعًا للهوى، وفتنة يحذر الله منها))(١).

يتبين من خلال تفسير سيد قطب أنَّ هناك تناسقًا بين الغنَّة والتحذير في الآية وكأن الصوت يحمل توترًا خفيًا يراعي المعنى التحذيري، فالإخفاء الشفوي هنا لا يؤدي وظيفة نطقية فقط بل يعزز الجمال السمعي وعمق المعنى في النص القرآني.

والحكم الثاني من أحكام الميم الساكنة هو الإدغام ويسمى إدغامًا شفويًا كما جاء في بيت الجمزوري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ):

والثـــانِ إدغـــام بمثلهـــا أتـــى وســـمّ إدغامًـــا صـــغيرًا يـــا فتـــى

والإدغام الشفوي هو إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم سواء أكانت في كلمة أو في كلمتين فيجب الإدغام مع مراعاة الغنَّة(٢).

فمن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٤**﴾ [البقرة" ١٣٤].

نلتفت إلى نهاية كلمة (لكم) ميم ساكنة وبداية الكلمة التالية(ما) ميم متحركة، فإذا اجتمعت الميم الساكنة مع الميم المتحركة فهو إدغام شفوي ويكون إدغامًا كاملًا، وتظهر معها غنَّة واضحة بمقدار حركتين فتنطق الميم مع الميم، ميم واحدة مشددة، يضيف قوة صوتية ونغمة موسيقية توكيدية على المعنى، فهو تكرار لزيادة رسوخ مدلوله في نفوس السامعين ولا يقتنع

(١) في ظلال القرآن: ٢/٩٠٤.

(٢) يُنظر: الملخص المفيد في علم التجويد: ٢٧.

بمرة واحدة[١].

وجاء في الظلال ليبين معنى الآية فقال إن ((لكل حساب، ولكل طريق، ولكل عنوان، ولكل صفة أولئك أمة من المؤمنين فلا علاقة لها بأعقابها من الفاسقين، وإنَّ هذهِ الأعقاب ليست امتدادًا لتلك الأسلاف هؤلاء حزب وأولئك حزب لهؤلاء راية ولأولئك راية...))[٢].

فيتبين في المعنى أنَّ كل أمَّة لها ما كسبت، وتكرار صيغة (ما كسبت، وما كسبتم) تلك الغنَّة تعزز الأنساق الموسيقي في الآية، فالأثر الأسلوبي بدا واضحًا في أولًا: توكيد الكسب، وثانيًا: موسيقى داخلية، وهذا يعمق المعنى ويوسع الأثر السمعي والفكري لدى المستمع.

وآخر أحكام الميم الساكنة هو الإظهار الشفوي، ويكون إذا وقع بعد الميم الساكنة أي حرف من حروف الهجاء، وجب إظهار الميم وحروفه ستة وعشرون حرفًا عدا حرفي الميم والباء، وتُظهر الميم من دون غنَّة ويكون في كلمة وفي كلمتين[٣]، وقال صاحب التحفة:

وَالثَّالِثُ الإِظْهَارُ فِي الْبَقِيَّهْ ... مِنْ أَحْرُفٍ وَسَمِّهَا شَفْوِيَّهْ
وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِي ... لِقُرْبِهَا وَلاتِّحَادِ فَاعْرِفِ

أي تكون الميم أشد إظهارًا عند الفاء والواو، ومن النماذج التي توضح الإظهار مع الميم الساكنة ما جاء في قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...**﴾ [آل عمران: ١١٠].

نلحظ لفظ ﴿**كُنتُمْ**﴾ انتهى بحرف ميم ساكنة وبعدها لفظ (خير) فالتقاء الميم الساكنة مع الخاء يكون الحكم إظهارًا شفويًا، فينطق حرف الميم بوضوح تام من الشفتين دون غنَّة وينطق بعدها حرف الخاء بوضوح من أقصى الحلق، فالإظهار هنا يخلق وضوحًا صوتيًا بين كلمتين ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ**﴾ ، فالخطاب للمؤمنين ولبيان الأفضلية.

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير: ٧٤٨/١.

(٢) في ظلال القرآن: ١١٧/١.

(٣) يُنظر: الملخص المفيد في علم التجويد:٢٩.

ويوضح ابن عاشور أنَّ الخطاب في ﴿كُنتُمْ﴾، أمَّا لأصحاب الرسول (ﷺ)، أي كنتم أمة خير أمة أخرجت للناس، وأمَّا يكون الخطاب بضمير ﴿كُنتُمْ﴾ للمسلمين كلهم في كل جيل ظهروا فيه(١).

فهذهِ الأمة وصفها الله سبحانه وتعالى أنَّها خير أمة أخرجت للناس، وهذا التعبير القرآني بلفظ (أخرجت) تعبير يلفت النظر وهي كلمة تصور حركة لطيفة، فهذا ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف قيمتها، وتعرف أنَّها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة بما أنَّها هي خير أمة...(٢).

فالإظهار في هذا الموضع يضيف إيقاعًا معنويًا يوحي بالثبات والاستحقاق فكأنَّ اللفظ يبرز أنَّكم أنتم فعلًا خير أمة، فحرف الميم رخو مخرجه الشفتين وحرف الخاء شديد، ومخرجه حلقي وهذا يخلق توازنًا صوتيًا بين الغنَّة الرقيقة، والصوت الجهري، فالنص القرآني يبرز فيه هذا الإظهار؛ ليؤكد على وضوح المعنى، وجمال الإيقاع، وتوكيد الفكرة بأنَّها تميّز هذهِ الأمة بالخير والفعل.

- **أحكام اللامات السواكن:**

١ – لام ال التعريف.

٢ –لام الاسم.

٣ –لام الفعل.

٤ –لام الأمر.

٥ –لام الحرف.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير: ٤/٤٨.

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن: ١/٤٤٦-٤٤٧.

أولًا: لام ال التعريف: هي لام ساكنة مسبوقة بهمزة وصل مفتوحة، وما بعدها اسم من الأسماء وهي زائدة عن بنية الكلمة وتكون على نوعين، الأول: تسمى اللام القمرية، والأخرى تسمى باللام الشمسية، واللام القمرية تكون مظهرة، واللام الشمسية يكون حكمها الإدغام وكما جاء في التحفة:

لِـــلَامِ أَلْ حَـــالَانِ قَبْـــلَ الأَحْـــرُفِ أُولَاهُمَـــا إِظْهَارُهَـــا فَلْتَعْـــرِفِ
قَبْـلَ ارْبَـعٍ مَـعْ عَشْـرَةٍ خُـذْ عِلْمَـهُ مِـنِ ابْـغِ حَجَّـكَ وَخَـفْ عَقِيمَـهُ

فاللام القمرية حروفه مجموعة في عبر عبارة (أبغ حجك وخف عقيمه)، ويكون حكمها الإظهار أي تكون عند النطق بها مظهرة كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، فنلحظ اللام في لفظ ﴿ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ ، حكمها الإظهار وسبب الإظهار هنا هو تباعد مخرج اللام عن مخرج حرف الهمزة(١)، فقد أسهم إظهار اللام بإظهار أسماء الله الحسنى لظهورها من سواها من الأسماء.

فالتباعد بين الحروف يوجب الإظهار، وأمَّا التقارب بين الحروف يتناسب معه الإدغام، وجاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢](٢)، اللام في لفظ (الكتاب) حيث جاء بعد اللام حرف من الحروف القمرية وهو (الكاف) ويجب أن يكون حكمه الإظهار، وهذا مناسب مع سياق الآية فالكتاب هو القرآن الكريم هو ظاهر للناس، أي نزل من رب كريم، فبالتأكيد يكون مظهرًا، وكما قلنا سابقًا إنَّ الإظهار يعزز النطق بوضوح بارز.

كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٤].

(١) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد:٢٦٣-٢٦٥، والملخص المفيد في علم التجويد: ٣٤-٣٥.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٦٥.

فلفظ (اليوم) جاء حرف الياء بعد ال التعريف، وحرف الياء من الحروف القمرية فيكون حكمها الإظهار فتنطق هذهِ اللام بوضوح تام عند القراءة، وهذا الوضوح الصوتي يُحدث توكيدًا سمعيًا يرسخ أهمية اليوم المشار إليه، وضوح يجذب انتباه السامع، وكما ذكر صاحب الظلال: ((أعلن لهم إكمال العقيدة، وإكمال الشريعة معًا، فهذا هو الدين، ولم يعد للمؤمن أنْ يتصور أنَّ بهذا الدين بمعناه هذا نقصًا يستدعي الإكمال، ولا قصورًا يستدعي الإضافة، ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير[...] وإلا فما هو بمؤمن، وما هو بمقر يصدق الله وما هو بمرتضى ما ارتضاه الله للمؤمنين.. وإنَّ شريعة ذلك الزمان الذي نزل فيه القرآن هي شريعة كل زمان؛ لأنَّها بشهادة من الله [...]))[1].

فصوت اللام المظهرة كأنَّهُ جرس يعلن عن لحظة تاريخية عظيمة، وهو مناسب مع عظمة الإعلان الإلهي باكتمال الدين.

والنوع الثاني: من ال التعريف وهو اللام الشمسية وحروفها مجموعة في أوائل البيت الآتي:

طِبْ ثُمَّ صِلْ رُحْمًا تَفُزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ دَعْ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمْ

فهي أربعة عشر حرفًا ويكون حكمها الإدغام، فإذا وقع حرف من هذهِ الحروف بعد لام التعريف وجب إدغامه، وسميت لام شمسية لأنَّها غير ظاهرة في النطق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾ [البقرة:٢٢][2].

فاللام الذي ورد في كلمة (الثمرات) جاء بعده حرف الثاء وهو من الحروف الشمسية كما بينا سابقًا، فيكون حكم اللام في هذهِ الكلمة الإدغام، أي أنَّ اللام لا تنطق، أي لا يوجد توقف

(١) في ظلال القرآن: ٨٤٣/٢.

(٢) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ٢٦٦.

على اللام، وحرف الثاء هو حرف مهموس يعطي طابعًا خفيفًا على السمع والشدة معه تبرز الكلمة وتظهرها أكثر، فحذف اللام هنا بسبب الإدغام يجعل النطق أكثر سلاسة في القراءة ويعطي الكلمة وقعًا خاصًا ويلفت الانتباه فـ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي النعم الناتجة عن نزول الماء، كما ذكر سيد قطب إنَّ ذكر إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات، ترد في مواضع كثيرة من القرآن في معرض التذكير بقدرة الله وبنعمتهِ، وإنَّ الماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسة للأحياء في الأرض جميعًا(١).

ففي الآية الكريمة يذكر الله تعالى عددًا من النعم (الأرض، والسماء، والماء، والثمرات)، واستخدم الصوت المتناسق مع هذهِ النعم وهو الإدغام مما يجعل القراءة مؤثرة في النفس.

ثانيًا: لام الفعل:

هي لام ساكنة تكون في الفعل الماضي، والمضارع، والأمر، حكمها الإظهار، إذا وقع بعدها أي حرف من حروف الهجاء، ما عدا اللام والراء، إذ تدغم بهما إذا وقع بعدها حرفي اللام والراء فقط، وسبب الإدغام فيها، للتماثل مع اللام، ومع الراء تقارب، أي تقارب في المخارج، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣](٢).

اللام في الفعل ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ بعده حرف العين فينطق بوضوح دون إدغام خاصة هنا ما جاء بعدها حرف حلقي، فنطق اللام الساكنة في ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ يعطي إيقاعًا هادئًا قويًا وهو يعزز المعنى- الاعتماد الكامل على الله- كما أنَّ الوقف على صوت اللام يلفت الانتباه إلى المتوكل عليه وهو الله، ويوضح سيد قطب أنَّ الرزق من حيث لا يحتسب تأخذ بعدًا روحيًا وخاصًا في أحكام الطلاق، وهنا إيحاء بترك هذهِ المحاولة محاولة اتقاء الكيد إلى الكيد،

(١) يُنظر: في ظلال القرآن: ٤٧/١.

(٢) يُنظر: الوسيط في علم التجويد: ٢٦٧-٢٦٨، وانظر: الملخص المفيد في علم التجويد: ٣٨-٣٩.

والتوكل إلى التوكل على الله وهو كاف لمن يتوكل عليه[١].

ثالثًا: لام الأمر:

هي لام ساكنة زائدة عن بنية الكلمة يقع بعدها الفعل مباشرة، ويكون حكمها الإظهار ومن خصائص اللام الصوتية الوضوح السمعي، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٢٨٢][٢].

فاللام في كلمة ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تلفظ لامًا ساكنة مُظهرة ما قبلها حرف متحرك، وهذا يخلق انتقالًا قويًا من الفتح إلى السكون إلى الياء المفتوحة مما يعطي الكلمة إيقاع خاص عند القراءة، وهذا مناسب للمعنى فـ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فعل أمر لشخصٍ غير معين أي إنَّ أي كاتب من المجتمع يكتب، فالله سبحانه استخدم لام الأمر، ولم يستخدم الفعل (أكتب) مباشر، وهذا يدل على الرفق واللين.

رابعًا: لام الاسم:

هي لام ساكنة سُميت بلام الاسم؛ لوجودها به وتكون حكمها الإظهار وجوبًا كما في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٨][٣].

اللام في كلمة ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ لام ساكنة مظهرة عند النطق بها، فمجيء اللام بين حرف السين، والسين يعطيها موسيقى وإيقاعًا مميزًا ويعطي الكلمة جرسًا خاصًا عند التلاوة، وهذا يؤثر في أُذن السامع، و ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ وردت بصيغة تدل على السهولة، فناسب معنى الماء العذب السلس.

---

(١) يُنظر: في ظلال القرآن: ٣٠٦١/٦.

(٢) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ٢٦٩.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

خامسًا: لام الحرف:

هي لام ساكنة تقع في الحرفين (هل وبل) ويكون حكمها الإدغام مع اللام والراء، والإظهار مع بقية الحروف، كما في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨][(١)]،اللام في ﴿بَل﴾ مع الراء يكون حكمها الإدغام، وذلك لقرب مخرجها من اللام، فالرفع هنا لا يدلي به القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة[(٢)].

ما مرَّ من أحكام دل على خفة في اللفظ، وحُسُن للسمع من الجانب الصوتي، فقد قال صاحب الموازنات الصوتية: ((الجانب الصوتي ويتمثل في خفة اللفظ وحسن وقعه في السمع))[(٣)]، فرجحَّ في ذلك إلى تباعد مخارج الحروف حينًا، وإلى الذوق حينًا آخر، ويشير صاحب الموازنات إنَّ العنصر الصوتي احتل مكان الصدارة في فصاحة اللفظ المفرد، وعلى الرغم من ذلك فهو لا يعدو إلا عنصرًا واحدًا من عناصرها[(٤)].

ثانيًا: المستوى التركيبي للميم الساكنة واللام الساكنة

أولًا: الإخفاء:

الإخفاء الشفوي: هو إخفاء الميم الساكنة عند التقائها مع حرف الباء، وسمي بالإخفاء الشفوي؛ لقرب مخرج الميم من الباء فكلاهما مخرجهما من الشفتين، وسنوضح ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [البقرة:٨].

(١) يُنظر: الوسيط في أحكام التجويد: ٢٧٠-٢٧١.

(٢) يُنظر: في ظلال القرآن: ٨٠٢/٢.

(٣) الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر: د. محمد العمري، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق- بيروت، لبنان، د،ط، ٢٠٠١م: ١٠٣.

(٤) المصدر نفسه.

ورد الإخفاء الشفوي في ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ عند التقاء الميم الساكنة مع الباء الذي هو حرف الإخفاء الشفوي الوحيد، فالواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس، (هم) ضمير منفصل في محل رفع اسم ما، (بمؤمنين) الباء حرف جر زائد للتوكيد؛ لأنَّهُ لا يوجد حرف جر زائد، ولكن الاصطلاح النحوي جرى على ذلك، والجملة الأسمية في محل نصب على الحال(١).

وذكر صاحب الكشاف تكرار الباء أنَّهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام قال: ((فإنْ قلت: كيف طابق قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فالأول: في ذكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني: في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق أدّى إلى الغرض المطلوب، وفيه من التوكيد والمبالغة، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين...))(٢).

فالغنَّة الناتجة عن الإخفاء تُعطي نغمة لطيفة، وقد يربط هذا التناسق الصوتي بين الكلمات فيجعلها أكثر جذبًا للسامع، وهذهِ الغنَّة الخفيفة في ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ توحي بعدم اليقين أو الغموض، وهو يتسق مع الآية.

((فيجب أن يكون الباء صلة الإيمان وكررت مبالغةً في الخديعة والتلبيس بإظهار أنَّ إيمانهم تفصيلي مؤكد قوي، وفي الآية دلالة على أنَّ من لم يصدق في قلبه لا يكون مؤمنًا))(٣).

---

(١) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٢/١.

(٢) الكشاف: ١٧١/١.

(٣) روح المعاني: ١٤٧/١.

فالله تعالى ينفي عنهم الإيمان بالرغم من ادعائهم، والإخفاء يُعطي إيحاءً صوتيًا بعدم الصدق، أو الخفاءفي نواياهم.

((فإنَّهم يدعون الإيمان بالله وباليوم الآخر، وهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين إنَّما هم منافقون لا يجرؤون على الإنكار والتصريح بحقيقة شعورهم في مواجهة المؤمنين))[١].

فكما مر أنَّ (ما) نافية تعمل عمل ليس، و(هم) تكون أسمها، و(بمؤمنين) خبرها، فيكون تقديرها ليسوا بمؤمنين ولكن لو استعمل القرآن(ليسوا) أنَّهُ لم يكن يؤدي وظيفة كما استعمل (ما)، فالإخفاء الشفوي يضيف نغمة لينة تبرز التناقض بين القول والعمل، والإخفاء هنا ناسب معنى الآية فالمنافقون يتظاهرون بإيمانهم وفي قلوبهم يخفون كفرهم.

ثانيًا: الإدغام:

والإدغام: هو إدخال الشيء بالشيء، وهنا التقاء الميم مع مثيلتها بميم سواء كانت في كلمة أو كلمتين، فما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة:٢٠١].

أدغمت الميم الساكنة مع الميم في ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ ، فهذهِ الجملة عطف على الجملة السابقة فـ(الواو) عاطفة، (من) حرف جر، (هم) ضمير متصل في محل جر متعلق بمحذوف خبر مقدم، (من) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر (يقول) فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره(هو)، وجملة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ لا محل لها معطوفة على جملة من الناس من يقول[٢].

فكما قلنا أنَّ هذهِ الجملة عطفت على الجملة التي قبلها وهم فريقين، فريق همه الدنيا فهو مشغول بها لا يكررون في الدعاء من أمر الآخرة شيئًا، وورد عن ابن عباس (ﷺ) أنَّ الآية

(١) في ظلال القرآن: ٤٢/١.

(٢) يُنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٤١٩/١.

نزلت في هذا الفريق من الناس، وفريق آخر أفسح أفقًا يريد الحسنة في الدنيا ولكنَّهُ لا ينسى نصيبه من الآخرة فيقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فيطلبون الحسنة من الله في الدارين من دون تحديد نوع الحسنة فإنَّ الله هو من يختارها(١).

فالإدغام الشفوي الذي يسمى أيضًا بالإدغام المتماثل الصغير وهنا تتحول الميم مع الميم إلى ميم واحدة مشددة مع بقاء الغنَّة فتنطق (مَيَقُول)، فيعطي سلاسة صوتية من خلال الغنَّة وهذا يساعد في تثبيت المعنى في ذهن السامع، فاستعمال القرآن لهذهِ العبارة فيها تكرار لفظي يميز بين أصناف الناس فـ(منهم) يشير إلى الجماعة، فالإدغام الشفوي ناسب المعنى حيث أدغم (منهم من) أي أدغم الكلام أو أدغم الناس بعضهم مع بعض.

ثالثًا: الإظهار:

والإظهار الشفوي هو إظهار الميم الساكنة مع جميع الحروف عدا (الباء والميم) وحروفه ستة وعشرون حرفًا، وسوف نوضح نموذجًا في ذلك نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة:٢٥].

نلحظ حكم الإظهار الشفوي في عبارة ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ﴾ وحيث التقت الميم الساكنة مع الفاء، وهو أشد إظهارًا؛ لقرب مخارجها، فالواو عاطفة، واللام حرف جر وهم ضمير متصل في محل متعلق بمحذوف الخبر(٢).

(١) يُنظر: في ظلال القرآن: ١/٢٠١.

(٢) يُنظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١/٨١.

وجاء في الكشاف عن النبي (ﷺ) في قوله ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال: ((من الحيض ، والغائط، والنخاعة* ، والبزاق*))(١).

ففي الآية يذكر الله تعالى الذين يؤمنون لهم جنات ويرزقهم الثمار فإنَّ من أهل الجنة لا يعرف جميع أصناف الثمار، وقوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ في أنَّ التشابه بين المأتي به لا بينه وبين ثمار الدنيا، وبعد ذلك مَنَّ الله عليهم بنعمة الأزواج، والأزواج جمع زوج، يقال للذكر والأنثى؛ لأنَّهُ جعل الآخر بعد أن كان منفردًا زوجًا، ويقال للأنثى زوجة(٢).

فالإظهار هنا في هذا الموضع تُنطق الميم بوضوح تام وكما قلنا جار ومجرور متعلق بمحذوف يعود على الجنات ومعنى فيها أي في الجنات التي ذكرت، فهذا الإظهار في ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ﴾ يُعطي إيحاء أنَّ هذا النعيم ثابت ومستقر في الجنة لهم، وتكرار الجملة (ولهم فيها- ثم- وهم فيها خالدون) يؤكد المعنى بالخلود والثبات والاستقرار بالجنة، فالموقع الإعرابي له تأثير على معنى الجملة فلو ذكر الله سبحانه ولهم في الجنة أزواج مطهرة، وثم قال: وهم في الجنة خالدون، لا يستقيم السياق ويصبح التعبيرُ صعبًا في نطقه وتكراره، ولأصبح مملًا في القراءة، فالإظهار ناسب المعنى.

لنأخذ مثالًا آخر يوضح الإظهار للميم الساكنة في افتتاح سورة البينة قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة:١].

ورد حكم الإظهار في(لم يكن) حيث التقت الميم الساكنة مع الياء الذي من حروف الإظهار، فبدأت السورة بفعل مضارع منفي يصف فيها الله تعالى الكافرين والمشركين، فـ(لم)

(١) الكشاف: ٢٠٥/١.

*النخاعة: النخامة.

*البزاق: البصاق.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير: ٣٥٧/١، ويُنظر: روح المعاني: ٢٠٦/١-٢٠٧.

هو حرف نفي وقلب وجزم، و(يكن) فعل مضارع ناقص مجزوم بلم[١].

ورد في التحرير والتنوير تقدير الآية ((لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول (ﷺ)، ثم إنَّ كلمة (حتى) لانتهاء الغاية، فهذهِ الآية تقتضي أنَّهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول (ﷺ)))[٢].

فالإظهار في جملة (لم) يجعل الكلمة الأولى تُلفظ بوضوح فتبرز حالة الانفكاك المنفي مما يُمهد لجملة التحول والتوقيع في ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾.

فَسَرَ الآية سيد قطب وذكر أنَّ الأرض كانت في حاجة إلى رسالة جديدة، في أرجاء الأرض ولا يرتجى لها صلاح إلا برسالة جديدة، وحركة ومنهج جديد، والكفر تطرق إلى عقائد أهلها جميعًا سواء أهل الكتاب الذين حرفوا الديانات السماوية، أو المشركين في الجزيرة العربية، ولم يكونوا ينفكون عن هذا الكفر إلا بهذهِ الرسالة الجديدة[٣].

فالمضارع المنفي الواقع موقع الماضي دلَّ على المستقبل؛ لأنَّهُ اقترن بالفعل المضارع (تأتيهم) من قوله: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١﴾ ، فقد عبَّرَ الله تعالى عنه بالفعل المضارع الذي يكون الغرض منه المستقبل، وهذا التحول في الأفعال من صيغة إلى صيغة يمنع الكلام من الجريان على وتيرة واحدة، لهذا تنطوي الأفعال في الآية على الأساليب المنوعة لتؤشر أسلوبًا مهمًا، فالله تعالى عبَّرَ عنهم بالفعل المضارع في معنى المستقبل دلالة لتحقيق تلك الصفات وتضليل أعمالهم في الدنيا والتأكيد على رفض الكافرين وإنكارهم الحقيقة[٤].

---

(١) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٥٤٢/١٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٦٩/٣٠.

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن: ٣٩٤٨/٦.

(٤) يُنظر: سورة البينة–دراسة أسلوبية دلالية: أ.م.د مجيد صادقي مزيدي، جمهورية إيران الإسلامية، جامعة العلوم والمعارف القرآنية– قم، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد٥٥: ٥٢٠.

فالإظهار في ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ أعطى وضوحًا في اللفظ، وأبرز النفي في بداية السورة، وهذا يضيف قوة في النفي في أنَّ هؤلاء لم ينفكوا عن كفرهم حتى تأتيهم البينة، فالفعل المضارع (يكن) كان له الأثر الأسلوبي الواضح، الذي هو بمعنى الماضي الدال على المستقبل.

- **أحكام اللامات السواكن:**

أولًا: لام أل التعريف:

وتنقسم على قسمين، الأول: اللام القمرية، والآخر: اللام الشمسية، والقمرية تكون مُظهرة، والشمسية تكون مدغمة، وسنبين ذلك من خلال تحليلنا لأمثلة معينة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥].

فاللام في لفظ (الجنة) ساكنة مُظهرة، وذلك لأنَّهُ جاء بعدها حرف من الحروف القمرية المجموعة في عبارة (أبغ حجك وخف عقيمه)، و(الجنة) هنا مفعول به[١]، و((الآية عُطفت على الآية التي قبلها فبعد أن انقضى سجود الملائكة قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وهذا تكريم لآدم (عليه السلام)، والجنة هي قطعة من الأرض فيها الأشجار المثمرة والمياه الجارية وهي أحسن للإنسان إذا لفحه حر الشمس ويأكل من ثمارها إذا جاع ويشرب من مياهها، فالجنة تجمع ما تطمح إليه طبيعة الإنسان من اللذات))[٢].

((وقد اختلف علماء الإسلام في تعيين هذهِ الجنة، فالذي ذهب إليه جمهور السلف أنَّها جنة الخلد التي وعد الله المؤمنين والمصدقين رسله، وجزموا بأنَّها موجودة في العالم العلوي عالم الغيب، أي في السماء وأنَّها أعدَّها الله لأهل الخير بعد القيامة، وهذا الذي تقلده أهل

(١) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٨٥/١.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٢٨/١-٤٣٠.

السنة من علماء الكلام...))[١].

فإظهار اللام يُعطي الكلمة وضوحًا في السمع ويُساعد في تمييز الكلمة وتحديدها، وهذا مناسب للأسلوب القرآني في موضع التكريم والتشريف، وإظهار اللام هنا يُسهم في توكيد النعمة.

ولو قال (ادخل الجنة أنت وزوجك) لمااستقام المعنى ونطق اللام فيها حقق وضوحًا في الكلمة وتبرز معناها بحيث ناسبت الجو العام للآية التي تتحدث عن السكن في الجنة، دار الراحة، واللام مظهرة ناسبت المعنى للفظة، فالجنَّة معروفة، أي ظاهر معناها.

ثانيًا: لام الاسم:

لام الاسم يكون في وسط الكلمة ويكون حكمه مظهر فأليك مثالًا يوضح ذلك نحو قوله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١].

إذ ورد لام الاسم في لفظ ﴿سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ فحكمه الإظهار، وهو مفعول به منصوب بـ(ينزل)[٢].

بين ابن عاشور معنى السلطان: ((أي الحجة والبرهان؛ لأنَّهُ يتسلط على النفس ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ أي ما لا سلطان له))[٣]، ((فالإتيان بها للإشارة بأنَّ المتبع في باب التوحيد هو البرهان السماوي دون الآراء والأهواء الباطلة، وسميت بذلك؛ لأنَّهُ بها يتقوى على الخصم ويتسلط عليه والنون زائدة فيها، وقيل أصلية، وذكر عدم إنزال الحجة مع استحالة تحققها من

(١) نفسه.

(٢) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٧١/٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٢٦/٤.

باب انتفاء المقيد لانتفاء قيده اللازم، أي لا حجة حتى ينزلها...))[١].

فمعنى ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي أنَّ الله تعالى لم ينزل برهانًا أو حجة على الشرك الذي يدعونه، فيبين الله تعالى أنَّهم أشركوا بالله شيئًا لا يملك أي دليل أو برهان من عند الله، وهذا تأكيد على أنَّ شركهم باطل لا سند له.

ثالثًا: لام الحرف:

الذي يكون في حكمها الإدغام في (اللام والراء) والإظهار عند بقية الحروف إذ قال تعالى: ﴿...يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ورد لام الحرف في لفظ (هل لنا) وحكمه الإدغام؛ لأنَّهُ التقى بشبهه اللام، فجملة يقولون بدل من جملة يظنون وهل حرف استفهام إنكاري معناه النفي، أي: ليس لنا، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال؛ لأنَّهُ كان في الأصل صفة لشيء، ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالًا[٢].

جاء في التحرير والتنوير أنَّ (((هل) هنا للاستفهام الإنكاري بمعنى النفي، وقرينة زيادة(من) قبل النكرة وهي من خصائص النفي، والمراد بالأمر هنا شأن الخروج إلى القتال، وجملة يقولون بدل اشتمال من جملة (يظنون)))[٣].

فاللام هنا تُفيد الاختصاص أو الملك، واللام هنا تُبرز الذات المتكلمة (نا) وتدل على الأنانية، وهي منسجمة مع حالهم النفسي في الآية الخوف، القلق، فاستخدام اللام مع الضمير (نا) يُبرز هذا المعنى.

---

(١) روح المعاني: ٣٠١/٢.

(٢) يُنظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٧٧/٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٣٥/٤.

وتفسير الآية عند الآلوسي ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ أي: ((إنَّهم يقولون لبعضهم على سبيل الإنكار، هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب، أي ليس لنا من ذلك شيء؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا ينصر محمدًا (ﷺ)، أو يقول الحاضرون منهم لرسول الله (ﷺ) على صورة الاسترشاد: هل لنا من أمر الله تعالى ووعده بالنصر شيء))[1].

فاللام الساكنة في (هل) التي على سبيل الإنكار حكمها الإدغام مع اللام في (لنا) التي تكون للاختصاص؛ لأنَّها داخلة على ضمير الجماعة (نا)، فمعناها لا نملك من أمر القتال أو من تدبير الأمور شيئًا؟ فالاستفهام بـ(هل لنا) يوحي بشعور الاعتراض على عدم اشتراكهم في القرار، فوجود اللام مع الضمير أعطى استفهامًا أقوى، فبدلًا من (هل لنا من الأمر شيء لنا)؟ قدمت (لنا) لتبرز موضع الشك أو الاعتراض، فاللام هنا تسلط الضوء على محور تفكير المنافقين الذاتي الدنيوي لا القضاء الإلهي.

ثالثًا: المستوى البياني للميم الساكنة واللام الساكنة

أحكام الميم الساكنة:

أولًا: الإخفاء:

الإخفاء الشفوي الذي يأتي بميم ساكنة مع حرف الباء، وهنا نوضح إتيانها مع أسلوب بلاغي فنلاحظ جاءت الميم الساكنة مع حرف الباء في لفظ ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ﴾ في قولهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة:٣٤].

جاء الإخفاء الشفوي في ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ﴾ بأسلوب بلاغي سخرية أو تهكمًا لأنَّ مِنَ المعروف أنَّ البشارة تكون في الأمور السارة ولكن هنا جاءت في غير موضعه على السخرية

(١) روح المعاني: ٣٠٨/٢.

أو التهكم جاءت مع العذاب.

جاء عند ابن عاشور أنَّ (الفاء للفصيحة بأن يكون بعد أن ذكر آكلي الأمور الصادين عن سبيل الله وذكر الكانزين، أمر رسوله بأن يُنذر جميعهم بالعذاب، فدلت الفاء على شرط محذوف تقديره: إذا علمت أحوالهم هذهِ فبشرهم والتبشير مستعار للوعيد على طريقة التهكم))[١].

يبدأ الخطاب في الآية بالنداء لينبه لحالة موجودة لدى بعض الأحبار والرهبان وليكون المؤمنون متيقظين ولا يساهمون في ضلالهم أو التأثر بهم، ويقصد العلماء أحبار اليهود والرهبان المسيحيين والذين لهم منزلة دينية لكن بعضهم استغل هذهِ المنزلة بطرق غير صحيحة، أي أخذوا أموال الناس بطرق غير شرعية مثل: الرشوة.

فجمعوا الذهب والفضة أو المال الكثير دون أن ينفق في سبيل الله وفي الصدقات، فهذا البخل وترك النفقة من خصال الذم، وفي النهاية البشارة بالعذاب الأليم ينتظر هؤلاء بسبب أفعالهم عذاب شديد مؤلم في الآخرة، فكلمة ﴿فَبَشِّرْهُم ﴾ فيها تهديدوتحذير وليست بشارة بالخير بل يُعطى البشرى بعذاب[٢].

فالتهكم الشديد استعمل (بشر مع عذاب) فيه مفارقة بيانية تبعث على التهكم وتُشعر المستمع أو القارئ بشدة الوعيد وسوء المصير، وإنَّ هذا التوبيخ يشعرنا إنَّ العذاب أمر محقق لا محالة، حتى إنَّ الرسول يؤمر بأن (يبشرهم) به ليُظهر استحقاقهم له بسبب أفعالهم، فالإخفاء أثر أسلوبيًا في النص القرآني.

(١) التحرير والتنوير: ١٠/١٧٨.

(٢) يُنظر: روح المعاني: ٥/٢٧٩-٢٨٠.

ثانيًا: الإدغام:

الإدغام الشفوي الذي يتكون من ميم ساكنة مع ميم أخرى مماثلة لها، وقد ورد هذا الإدغام في لفظ ﴿ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩].

فقد ورد الإدغام الشفوي في ﴿ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ التقت الميم الساكنة مع الميم المتحركة فأدغمت، وأصبحت ميمًا واحدة مشددة في النطق مع مراعاة غنة حركتين، وفيها مبالغة حيث أنَّ الأصابع لا تدخل كلها في الأذن، فقال ابن عاشور: ((تمثل بعض علماء البيان بهذهِ الآية للمجاز الذي علاقته الجزئية تسامحًا، ولذلك عبر عنه الكشاف بقوله: هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها، وقيل ذلك مجاز في الأصابع، وقيل مجاز في الجعل ولمن شاء أن يجعله مجازًا في الظرفية فتكون تبعية لكلمة في))[(١)].

هذا المشهد تصويري بليغ يصور المرعوبين من الصواعق فيدخلون أصابعهم في آذانهم، أنَّهُ مشهد مليء بالخوف والرعب، والإدغام هنا يُنتج تدفقًا صوتيًا سريعًا بين كلمتين بلا توقف وهذا يتناسب مع المشهد السريع في الآية من الردة السريعة (إدخال الأصابع).

ذكر سيد قطب ((إنَّ هذه الحركة في المشهد لترسم التأثر الإيحائي حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين وعودتهم للشياطين، فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية؛ ويجسم صورة شعورية، وهو طريقة من طرق القرآن العجيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس))[(٢)].

فالميم المشددة مع الغنة توحي بالثقل من ناحية الصوت والتردد كأنَّهُ يَنُمَ عن اضطراب داخلي قلق ورعب داخلي للسامع، فبسبب الغنة تحاكي اضطراب النفس عند سماع صوت

(١) التحرير والتنوير: ١/٣٢٠.

(٢) في ظلال القرآن: ١/٤٦.

الصاعقة.

فجاء في التعبير القرآني أنَهُ: ((في الآية مجاز مرسل حيث ذكر الكل وأراد الجزء، فالآية تصور لنا بهذا التعبير تلك الحالة النفسية التي يمرون بها حالة الفزع فهم لشدة ذهولهم وحرصهم، ولمبالغتهم في إغلاق آذانهم، كأنَّهم يجعلون أصابعهم كاملة في آذانهم، مع أنَ انسداد الأذن يكون بأطراف الأصابع))(١).

والإدغام الشفوي هنا في ﴿ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ ليس مجرد مظهر تجويدي بل أثر صوتي وبلاغي وأسلوبي، فقد جسّد اضطراب السامع وخوفه ويسّرع القراءة لتعكس سرعة الفعل وردة الفعل.

ثالثًا: الإظهار:

الإظهار الشفوي الذي يكون في جميع الحروف مع الميم الساكنة عدا (الباء والميم)، ويكون أشد إظهارًا مع الواو والياء كما ذُكِرَ سابقًا، جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٣].

ورد الإظهار الشفوي في ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا﴾ إذ التقت الميم الساكنة بالغين وهو من الحروف المظهرة مع الميم، والثواب كما هو معروف يكون في الخير ولكن هنا استعملت مجازًا كما ذكر المفسرون، فجاء في تفسير ابن كثر ((قال محمد بن إسحاق ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا﴾ أي: كربًا بعد كرب، قَتْل من قُتل من إخوانكم، وقال ابن جرير: وأولى هذهِ الأقوال بالصواب قول من قال ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ، بعد الذي أراكم في كل ما تحبون بمعصيتكم ربكم، وخلافكم أمر النبي (ﷺ) عن ظنكم أنَّ نبيكم قد قتل،

(١) التعبير القرآني والدالة النفسية: ٣٩٧.

وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم))[١].

فكلمة(أثابكم) عادة ما تستعمل للثواب والجزاء الحسن لكن هنا جاءت مع (غمًا) وهذا يعطي تعبيرًا صادمًا يحمل نوعًا من التوبيخ اللطيف، أي أنَّ جزاء تقصيرهم في المعركة لم يكن ثوابًا حسنًا بل غمًا لكنه كان تأديبًا حسب رأي الباحث.

فذكر ابن عاشور أنَّ ((أصل الإثابة إعطاء الثواب وهو شيء يكون جزاء على عطاء أو فعلًا، والفعل ليس بخير، فيكون أثابكم إما باستعارة تهكمية أي جازاكم الله على ذلك الإصماد المقارن للصرف أنَّ أثابكم غمًا أي قلقًا لكم في نفوسكم وفي هذا الوجه بعد: لأنَّ المقام مقام ملام لا توبيخ ومقام معذرة لا تنديم، وإمَّا مشكلة تقديرية لأنَهم خرجوا للعرب خرجوا طالبين الثواب))[٢].

فالإظهار هنا أعطى عمقًا شعوريًا يصور التراكم من خلال تكرار غم على غم، وحزن على حزن، وهو ناسب الجو النفسي للآية (الغم، التأديب، التطهير)، فهذا الوضوح يجعل السامع يشعر بثقل الغم الذي نزل بهم، فهو مشهد كامل بألفاظ قلائل كما ذكر ذلك سيد قطب[٣].

(١) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٣١/٤-١٣٢.

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن: ٤٩٥/١.

أحكام اللام الساكنة:

أولًا: لام ال التعريف:

تنقسم على قمرية وشمسية فمن نماذج اللام القمرية ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ورد اللام في لفظ (كالأنثى) وجيء بعدها حرف الهمزة وهو من الأحرف القمرية فيكون حكمها الإظهار وهي هنا جاءت في أسلوب بلاغي (تشبيه) ومنفي أي ليس الذكر مشابهًا للأنثى، أي أنَّهُ يفرق بين الجنسين ((فقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى))(١).

فالإظهار هنا مناسب للسياق فهو يُظهر أنَّ الأنثى غير الذكر فليس من شبه بينهما قال ابن عاشور: ((ونفي المشابهة بين الذكر والأنثى يقصد به معنى التفصيل في مثل هذا المقام وذلك في قول العرب: ليس سواءً كذا وكذا، ولذلك لا يتوخون أن يكون المشبه في مثله أضعف من المشبه به؛ إذ لم يبق للتشبيه أثر، ولذلك قيل هنا: وليس الذكر كالأنثى، وقيل: وليست الأنثى كالذكر لفهم المقصود، وقد يجيء النفي على معنى كون المشبه المنفي أضعف من المشبه به))(٢).

وهذا يعني أنَّ لكل من الذكر والأنثى وظيفته ودوره، وخصائصه التي يقدرها الله تعالى بعلمه.

وجاء في كتاب التعبير القرآني والدلالة النفسية يمكن أن يقال في قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ إذ ((المتبادر للذهن أن يقال: وليس الأنثى كالذكر، إلا أنَّ هذا التعبير مسايرة

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٣٤/٣.

للنفس الإنسانية، وذلك عن طريق قلب المعلومة المختزنة في الذهن، فامرأة عمران طالما حلمت به ذكرًا إلا أنَّ القرآن يؤكد أنَّها امرأة تنفرد بين النساء، وهكذا نجد أنَّ الأسلوب القرآني يطلعنا على بعض الأبعاد النفسية من خلال هذهِ الصور البيانية))[١].

إنَّ الصورة التشبيهية تقوم على الأبعاد النفسية في ((أنَّها صورة تخيلية موحية وأنَّ التفاعل بين المشبه والمشبه به، إذ المراد من التشبيه أن يعبر تعبيرًا صادقًا عمَّا في النفس، ومرآة صادقة تعكس أبعاد المرء النفسية وتبرز حركاته الانفعالية))[٢].

فالنطق الواضح للام القمرية يعطي الكلمة هيبة ووضوحًا صوتيًا وهذا يتناسب مع السياق الذي يظهر فيه القرآن مقام العلم الإلهي، فالواضح في اللفظ يعكس الوضوح في الفرق بين الذكر والأنثى الذي أرادته الآية.

اللام الشمسية:

كذلك جاءت اللام الشمسية في أسلوب التشبيه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن:٣٧].

وردت اللام بعد حرف الدال المشددة في لفظة ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ ، وهو من الحروف الشمسية ويكون حكمه الإدغام.

ذكر ابن عاشور أنَّ ((الدهِان: بكسر الدال، دردي الزيت وهذا التشبيه ثانٍ للسماء في التموج والاضطراب))[٣].

فالآية تصف مشهدًا كونيًا يوم القيامة انشقاق السماء وتحولها، فقوله: ﴿فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ تشبيه حسي للسماء بالوردة ثم إضفاء صبغة تناسبها من جهة حمرة اللون الداكنة المذهلة.

---

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية:٣٨٥-٣٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٦١/٢٧.

ذكر سيد قطب في تفسيره أنَّ هذهِ الآية وإلى آخر السورة تستعرض مشاهد اليوم الآخر يوم القيامة، فالمشهد في هذهِ الآية وردة حمراء، سائلة كالدهان))[1].

فالتشديد في حرف الدال بعد اللام الشمسية يتناسب مع رهبة المشهد ووحشيته، فالإدغام في اللفظ هنا يحمل ثقلًا، وهذا الثقل يعكس ثقل الحدث الكوني المصور في الآية، فالتشبيه بالدهان أعطى إيحاءً بصريًا حادًا.

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٤٥٦.

Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Diyala
College of Education for Humanities
Department of Arabic Language

The Stylistic Impact of Tajweed Features on Qur'anic Expression: The Medinan Surahs as a Case Study

A Thesis submitted to the council of College of Education for Humanities, University of Diyala in partial fulfillment of the requirements of the degree of Masters of Arabic Language and Literature/ Literature

By

Fawziah Abdullah Ahmed

Supervised by

Prof. Sa'ad Juma'a Al Duleimi (PhD)

1447 AH 2026 AD

Abstract

The Qur'anic language has garnered the attention of scholars and researchers due to its distinctive phonetic and tajweed characteristics that contribute to enriching meaning and deepening the impact on the recipient.

This thesis, entitled "The Stylistic Impact of Tajweed Features on Qur'anic Expression: The Medinan Surahs as a Case Study," seeks to shed light on the most significant tajweed (phonetic) features that have shaped this impact in the Medinan surahs, highlighting their stylistic dimensions at the levels of articulation, structure, and semantics.

The study is divided into an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion.

The preface, entitled "Phonetic Articulation and Its Relationship to Meaning Production: Perspectives and Conceptions," establishes the relationship between sound and meaning in linguistic thought.

The first chapter, entitled "The Quiescent Nun and Tanween and Their Stylistic Impact on Qur'anic Expression," comprises two sections: the first examines the quiescent nun and tanween and their stylistic impact, while the second investigates the rules of the quiescent meem and lam and their stylistic impact.

The second chapter, entitled "Articulation Points and Characteristics and Their Stylistic Impact on Qur'anic Expression," focuses on three sections: the first addresses the phonetic resonance of the articulation points of letters; the second examines the articulation points of letters and their relationship to the rhetorical or semantic level and their stylistic impact on Qur'anic expression.

The third chapter, entitled "Prolongations (Madd) and Their Stylistic Impact on Qur'anic Expression," investigates the stylistic impact of this tajweed phenomenon through three sections: the first addresses the phonetic impact of prolongations; the second examines the structural level of prolongations and their stylistic impact; and the third explores the rhetorical level and its effect on prolongations.

The chapters conclude with the fourth chapter, entitled "Pausing and Resumption (Waqf and Ibtida') and Their Stylistic Impact on Qur'anic Expression," in which I examine three sections: the first investigates the phonetic impact of pausing and resumption; the second examines the structural level of pausing and resumption; and the third explores the rhetorical level of pausing and resumption.

The conclusion summarizes the most significant findings of the study, affirming that the tajweed features in the Medinan surahs (such as articulation points, pausing and resumption, prolongations, and the rules of the quiescent nun and tanween) represent highly precise stylistic levels, employed to create a profound rhetorical and aesthetic impact that serves the context and purpose of the verses.